مركز السقاف يجدد حياة العلماء الأوائل في ذاكرة أجيال اليوم

إشراف /فاطمة رشاد

سيئون / محمد باحميد :

نظم مركز ابن عبيدالله السقاف لخدمة التراث والمجتمع بسيؤون مساء الأربعاء الماضي محاضرة بعنوان (من أعلامنا المنسية السيد حسن بن عمر بن شيخان الحبشي أنموذجاً)، ألقاها المهندس محمد أبوبكر حسان عضو المجلس المحلي بمحافظة حضرموت ، بحضور المؤرخ السيد جعفر السقاف و المحقق السيد عبدالله بن محمد الحبشي و عدد من طلاب العلم والدعاة والأكاديميين والأساتذة التربويين والشخصيات الاجتماعية .

وقد استعرض المهندس حسان في محاضرته جملة من الأخلاق والصفات الحميدة التي تميز بها العلامة المربي حسن بن عمر بن شيخان - رحمه الله - منها تواضعه الشديد ، ودماثة أخلاقه، وبساطة تعامله للكبير والصغير مع علو قدره ومكانته العلمية، مع كونه أحد أبرز علماء مدينة سيئون في القرن الماضي، وكان مدرسا بمسجد طه بسيئون، وعمل محاميا أيام الدولة الكثيرية، وكان له دورا تعليمي وتربوي واجتماعي بارز في عموم حضرموت و مدينة سيئون خصوصا التي توفي بها عام 1416 هـ.

واعتبر المهندس محمد حسان نفسه أحد تلاميذ العلامة بن شيخان حيث قال : لقد درست عليه في علوم الشريعة الإسلامية و في الفقه والحديث والنحو وغيرها من العلوم وكان يحضر معنا في دروسه الأديب والشاعر والفقيه صالح بن علي الحامد وعددٌ آخر ممن أصبحوا اليوم علماء وأساتذة ودعاة) مشيرا إلى أن العلامة بن شيخان مع سعة علمه إلا أنه كان يستقبل في دروسه الأطفال وعوام الناس بكل محبة واهتمام تشجيعا لهم في طلب العلم والاستمرار والحضور في دروسه العلمية. وأضاف : (أن العلامة حسن بن شيخان كان يتميز بأساليب عدة في تربية الأولاد وتعليمهم، وغرس القيم والسنن والآداب فيهم ، وقد كان أسلوبه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة واللين والرحمة بالناس دون غلظة وعنف واشمئزاز .هذا وقد ألقيت عقب المحاضرة قصيدة شعرية للأخ أبوبكر محسن الحامد أثنى فيها على علماء مدينة سيئون ومنهم العلامة حسن بن شيخان وقد نالت القصيدة استحسان الجميع . وقد أثريت المحاضرة بالعديد من المداخلات والأسئلة والاستفسارات من قبل عدد من الأساتذة والدعاة والأكاديميين والتربويين والشخصيات الاجتماعية.

المنهج في نقد العمل الأدبي

النص الجيدؤدي إلى النقد الصحيح

معلوم أن المناهج النقدية ما هي في الأصل إلا وسائل وأدوات مساعدة على سبر أغوار أثر أو عمل أدبي معين، وليست غاية في حد ذاتها، وهي بالتالي قراءات متكاملة رأت النور بفضل الأدب وقوته الإيحائية، وحتى الآن لم يبلغ النقد اكتساب الصفة العلمية بالمعنى الصحيح والدقيق، إذ على الرغم من وجود اتجاهات نقدية جديدة، كالبنيوية والأسلوبية، فإن أي نص إبداعي يظل يحتفظ بجملة عناصر لا سبيل إلى استقرائها إلا باعتماد ذوق وحس لغوي عند الناقد.

كتب / عبد الفتاح أفكوح

ففي البدء كان (الخطاب الأدبي) وبعد ذلك لحقت به "الممارسة النقدية"، ثم لازمته وتطورت إلى مناهج، فأصبح النقد الأدبي لحظة وعي مسخرة لسبر غور الإنتاجات الأدبية، من خلال البحث عن مقصدية الكاتب، واستقصاء تجليات ذاته، واقتفاء تأثير خطابه، ثم ضبط الوعي في الأشياء، واستقراء الظواهر والفضاءات، وكذلك إزالة النقاب عن العلاقات الخفية في قلب الخطاب الأدبي.

ونحن من هذا المنطلق و هذا الاقتناع، نعتقد بأن اللجوء إلى فرض منهج نقدي بالقوة على أي خطاب أدبي لا يصله بسبب، هو عمل غير صائب، وخطوة لا تندرج ضمن المبادئ العلمية السليمة، خاصة وأن الأمر لم يعد، على سبيل المثال، مجرد تجريب زخم هائل من الرؤى والأدوات النقدية، التي أفرزتها جملة من المناهج الغربية على نتاج الأدب العربي الإسلامي، قديمه وحديثه؛ بل إن كل أداة نقدية وافدة صارت توظف في غالب الأحيان اعتباطا، و دون فحص أو تمحيص.

إن هذه الظاهرة المتفشية هي من بين الأسباب الوجيهة التي من المفروض واللازم أن تنبه الناقد العربي إلى التعامل بحذر شديد مع المناهج والدراسات الغربية، عندما يقبل على نقد أي عمل أدبي عربي، لكون أكثرها رصد وخصص لدراسة الأدب الغربي، سواء على مستوى التنظير أم على مستوى الممارسة والتطبيق.

إن فرض أي منهج بالقوة على خطاب أي عمل أدبي عربي، كفيل بتكريس عملية أو معالجة نقدية منحرفة، ومن شأنه كذلك أن يسفر عن لغة واصفة عقيمة، ومن المؤكد أن أي عمل أدبي نابع من صميم البيئة العربية يظل مغتربا، بل ويتم إلغاؤه وطمس أسئلة الذات الكاتبة والمنتجة له، عندما يصير تباهي الناقد العربي بالمفاهيم والمناهج النظرية الغربية غشاوة سميكة، تحول بينه وبين الاهتمام بالعمل الإبداعي، والإنصات إلى الأصوات والأصداء المترددة فيه، ما يجعله بعيداً كل البعد عن تقديره حق قدره.

إذن فليس الأدب وثيقة ذات بعد واحد، يزج بها بعض النقاد العرب في أسر التاريخ، أو الاجتماع، أو السياسة، ويودعها البعض الآخر في دائرة الفن، أو الفلسفة، أو الدين؛ بل إن الأدب حياة متشعبة ومستقاة من واقع الإنسان.

إن الأدب العربي، وهو جزء من الأدب العالمي، ليس حرباء أدبية تتجاوب وتنسجم مع جميع المناهج النقدية الوافدة من البلاد الغربية وغيرها، علما بأن كل عمل إبداعي بوجه عام، هو كائن أدبي يأبى أن نختزله في نعته بالوثيقة التاريخية أو الاجتماعية تارة، وفي وصفه بالوثيقة السياسية تارة، وتارة أخرى في تعريفه بالصورة النفسية أو الظاهرة العقدية، فهو أدب يستجيب للدراسة النقدية، بشرط أن ننظر إليه على أنه نتاج أدبي ذو أبعاد متنوعة، ومستويات مختلفة، وخصائص مركبة لا يستغني بعضها عن بعض.

ومن ثم فإن المبدأ الأدبي سيظل مدخلا طبيعيا لنقد أي إبداع أدبي، ذلك لأن المادة الأدبية هي البوابة الرئيسة الخاصة بالعبور إلى فضاءات الإنتاج الأدبي، والعنصر الأساس المساعد لنا على كشف ما يزخر به هذا الإنتاج من عمق فكري و فني و روحي، وبالتالي الوقوف على أبعاده ومدى قوته التواصلية.

أمام تنوع المناهج النقدية المعتمدة من طرف النقاد والباحثين، نرى أن الحسم في مسألة اختيار المنهج المناسب لنقد أي أثر إبداعي، يقتضي العودة إلى ما يشتمل عليه هذا الأثر من خطاب، وذلك لضبط أهم مرتكزاته، وهذه العودة من شأنها أن تساعد ناقد الأدب على تحديد دعائم المنهج النقدي الملائم، الذي بإمكانه أن يفي بممارسة نقدية علمية، مستوحاة أصلا من طبيعة العمل الأدبي المنقود.

بناء على نهج هذه السيرة، نظن أنه من الراجح والأجدر أن يستقر الرأي بالناقد على توظيف منهج نقدي مركب ومتكامل، بشرط أن يرتكز على وسائل متعددة ويقصد إلى هدف واحد، وبشرط أن يكون الناقد مؤمنا بضرورة الاستفادة من المناهج النقدية المختلفة في نقد عمل أدبي معين، لأن الاكتفاء بمنهج واحد لن يفضي بالناقد إلى الغاية المنشودة، ولا شك في أن منطلق النقد الأدبي العلمي هو محاولة إنجاز قراءة دقيقة، يطرح الناقد في مختلف أطوارها أسئلة جدا مركزة، بقصد أن يصل إلى إجابات وافية محددة، وبهدف أن يفتح بها آفاقا جديدة وفضاءات مغمورة في أجواء العمل الأدبي المنقود، مستعينا في سبيل ذلك بخلاصة ما انتهى إليه من قراءات منهجية.

فالمنهج النقدي مثل الأدب، يرتكز بدوره على خبرات مكتسبة، وقد تحدث عدد من النقاد والباحثين كثيرا عن المنهج التكاملي، ونذكر من بينهم على سبيل المثال: سيد قطب، وأحمد كمال زكي، وشكري فيصل، وشوقي ضيف، وعبد المنعم خفاجي، وجورج طرابيشي، ويوسف الشاروني، وعمر محمد الطالب، ولا شك أن المنهج التكاملي، يمثل أداة تستقي قوتها من ممارسة نقدية مركبة، تجمع بين المعطيات الفنية والتاريخية، والأبعاد النفسية، والاجتماعية، والدينية وغيرها، أما الشرط الوحيد في بناء هذا المنهج النقدي، فهو الارتكاز على رؤية شمولية واحدة، والأخذ بكل أداة منهجية صغرى تستجيب لهذه الرؤية، وهذا الخيار سيسمح للناقد بممارسة وتوظيف قراءة نقدية عميقة، دون إغفال، أو إقصاء، أو تجاهل للمكونات التالية:

- أولاً: الذات الكاتبة والذاكرة المكتوبة.
- ثانيا: القيم التعبيرية والشعورية (الخطاب).
- ثالثا: الظرف التاريخي.
- رابعاً: الآثار البيئية، والوراثية، والدينية، والسياسية، والاجتماعية، والنفسية وغيرها ...
- خامساً: الذات القارئة المتلقية.

لاشك في أن الكلمة الفصل في موضوع المنهج النقدي، التي تبدو راجحة، هي أن الأعمال الأدبية تمثل أولا وأخيرا النبع الذي تنبجس منه مناهج نقدها، والبوابة التي تمكن من النفاذ إلى جوهرها، وحسب ما نرى لن يستطيع أي منهج نقدي بمفرده أن يوفي أي عمل إبداعي حقه من النقد السليم، لأن الناقد سينظر من خلاله إلى الأثر الأدبي المنقود نظرة جزئية، في حين سيهمل الجوانب الأخرى، خاصة إذا استحضرنا في الأذهان ما لكل عمل إبداعي من امتداد في الزمن، وسعة في المكان، وواقع في اللغة.

إن منتهى القصد في هذا الباب، هو أن الأصل في مهمة الناقد كامن في اجتهاده ما وسعه الاجتهاد في نقد العمل الأدبي بأقصى ما يمكن من الإحاطة العميقة دون الاستسلام للسطحية، وذلك باعتماد الإفادة مما في مختلف المناهج من تكامل على مستوى الأدوات الإجرائية، وعلى مستوى ما انتهت إليه من نتائج علمية، وما بلغته من عصارة وحقائق من جهة ثانية.

همس حائر

فاطمة رشاد

رواية

لا عذارى هنا (الجزء الاول)

خالدأبوالدهب

المعالجة الدرامية

الزمان :
العقد الأخير من حكم الدولة المملوكية سنة 1501 م إلى سنة 1517 م
المكان :
إقطاعية مملوكية بالقاهرة

الأحداث

(1)

بينما كانت الأيـدي الذابلة تدق على الدفوف والأجساد الهزيلة تتراقص من تحت ثياب بالية نسج عليها الفقر رقعا مهترئة مدورة مثل بيوت العنكبوت.. شق جسد عنبر المنبوذ زحام الساحة بين المنزلين وهو يطلق صرخته:

-أموت مقتولاً وأشوف فيك يا بلد راجل

تحرك عدد من الرجال بسرعة.. أحاطوا بعنبر ودفعوه بقسوة وعنف إلى خارج الساحة وهم يكيلون له السباب:

-يا زوج الساقطة
-يا كلب الجبل
-يا عنين الزعار

قـاوم عنبر دفع أيديهم وهو يرمقهم بنظرات مستهزئة

-الرجل فيكم يريني منديله

مقولة مثل الزيت الذي ينصب فوق النار.. كلما رددها ازداد غضبهم اشتعالا ودفعهم له عنفا وقسوة حتى أسقطوه أرضا وتناوبوا في ركل جسده بأقدامهم.. بينما هو لا زال يردد:

-الرجل فيكم يريني منديله يا أولاد الوسخة

(2)

- لا تنسى قلبك في جيب المأذون يا صاحبي.

قالها علي لصديقه وابن عمه يحيى.. لم يكن يمازحه بقدر ما كان يحذره.. فمن حق علي أن يخاف على مستقبل علياء شقيقته.. والتي ستصبح بعد دقائق زوجة ليحيي.

حال الحب غريب في هذه البلدة البائسة.. التي استسلمت لحكم المماليك واستعذبت ظلمهم وطغيانهم.. كل قصص الحب تموت في ليلة العرس.. كأن العاشقين قد جمعتهما الصدفة فوق وسادة فراش الليلة الأولى.. التي تجعل من اللهفة فتوراً.. ومن الاشتياق زهداً ومن الرغبة رهبة ومن نظرات الهيام نظرات اتهام تظل ملتصقة بعيني الرجل حتى ينسدل جفنيها على الموت وعلى السر الدفين الذي عانت منه ثلاثة أجيال متعاقبة من أبناء الأكرمية التي تنحدر من نسل هاشم الأكرم الفارس الشريف الذي استشهد في معارك فتح مصر.

كان يحيى يدرك ذلك .. فربت على كتف علي

-لن يحدث ذلك لأنه ليس هناك من أحب كما أحببت

كان علي يثق في حب يحيى لعلياء.. كما كان يحيى يثق في حب علي لهند.. فالأربعة.. يحيى وعلياء ،وعلي وهند.. قصتا حب حقيقيتان عميقتان .. بعمق أيام سني العمر ودفء أنفاسه ومشاعره.. نمت قصتا الحب وترعرعتا في ودفء علاقة أسرية يرعاها شقيقان متحابان هما محمود واحمد العطار.

ساعد ذلك عليا أن يكون الزفاف في ليلة واحـدة.. تخفيضا لنفقات الـزواج في ظل ظروف صعبة تعاني منها عائلة العطار والبلدة كلها.

-لم يترك خصيان المماليك شيئا لأهل البلدة.

قالها الشيخ محمود العطار للمأذون بعدما لاحظ تبرمه من الدراهم القليلة التي وضعت في يده نظير عقد العقدين.. فمسح بأصابعه على الدراهم وأطلق زفرة حارة.

-لا تظلم المماليك يا شيخ محمود .. لأنهم تركوا لأهل البلدة ما لا تخطئه عين

مال الشيخ احمد العطار على المأذون وقال مستغربا

-وماذا تركوا لنا يا مولانا ؟

-الفقر

قالها المأذون وهو يحمل دفتره ويتحرك خارجا .

(3)

من خلف بابين مغلقين.. وبين صمت الخدر والترقب.. اشتعلت مع أعواد البخور أنفاس أربعة.. وأغمضت ثمانيه عيون فارتجف قلبان مع شهقة شفتين في لحظة كلحظة سقوط السيف على رقبة من أهدر دمه.

مقرعة الجنون تخبط فوق رأسين..فتفجر سؤالين..

هل حقيقة ما حدث؟

و كيف حدث ما قد حدث؟

ولا جواب.. لا شيء غير الصمت مع عبق أعواد البخور المشتعل مثل زوج من الأنفاس لا تجد من يطفئها.

(4)

في الصباح.. في براح الساحة بين المنزلين.. تصافح الوجهان.. دون سلام.. دون كلام.. فما فائدة الكلام وكـل وجـه قد ارتـدى نفس القناع المقيت.. المتخشب.. الصاخب الماجن الأخرس.. المصلوب على نظرة تقول أقصى وأقسى وأمر ما يمكن أن يقال.. عن العار وعن الانكسار وعن الصدمة والذل .. دون بنت شفة .

أشاح يحيى بوجهه..وكذلك علي.. بعدما ظنا أن النظرة التي تلقاها كلاهما من صاحبه.. هي نظرة عتاب.. نظرة تأنيب على وعد لم ينفذ وعلى عهد لم يصن.

في المساء.. هجر يحيى فراشه.. ذهب إلى البحيرة.. فهناك قد اعتاد أن يلتقي بنفسه كلما شردت منه.. ساعات مضت وهو على الحال نفسه.. لم يجدها.. ولن يجدها.. فكيف يجدها هنا وهو قد تركها هناك.. فوق سريره.. تتوسد وسادته.. تحترق بالنار نفسها التي لم يتمكن من إطفائها بالأمس.. فاشتعل لهيبها فيه.. في أنفاسه ونفسه .. في ملابسه ولحمه.. وفي لحظات صمته وهو ينهض ويهم بالانصراف لولا انه وجد عليا واقفا أمامه.. يرتدي القناع نفسه.. الذي يرسل النظرة نفسها التي تدمي قلبه العتاب نفسه.. ففاض به الكيل وواجه عليا وصرخ فيه بنبرة تجمعت فيها مرارة الدنيا

-علياء ليست عذراء يا علي.

-وهند كذلك يا يحيى.

-قالها على وقد احتقنت عيناه بالدموع .

(5)

- ليس على الأرض مثل هذا الابتلاء.

قالها لنفسه وهو يهيم على وجهه.. أين يذهب بهذا العار؟.. كيف يتحمله؟.. بل كيف تحمله؟.. كيف لم يسقط على الأرض متهشما مثل إناء فخاري عندما صب في قلبه هذا العذاب وهذه النيران ؟.

عـار الـزوجـة.. عـار الأخـت.. عـار عائلة بأكملها.. بل هو عار العالم كله .. تجمع في مستنقع قذر وجد نفسه غارقا فيه حتى أذنيه.. مع صوت نباح كلاب الليل وعواء ذئاب الجبل مشت به قدماه حتى وجد نفسه عند سفحه.

-هل حقيقة ما حدث؟

-و كيف حدث ما قد حدث؟

سؤالان مثل شقي رحى تطحن عقله.. فأين المفر؟!

-أموت مقتولاً وأشوف فيك يا بلد راجل

مثل حبل ألقى عليه في أعماق جب ضياعه كان صوت عنبر

التفت نحو مـصـدر الـصـوت وأطلق استغاثة

-النجدة يا عنبر .. أغثني يا ابن الأكرمية

انتبه عنبر لوجوده.. سار نحوه.. ولما أصبح أمامه مباشرة تأمله

-عريس الأمس ؟

-بل قتيله

-وماذا يريد قتيل الأمس من قتيل ألف ألف أمس مضى ؟

-أريد الحقيقة

-وهل غابت كي تنشدها .. أن الحقيقة موجودة .. ماثلة شاخصة.. مثل قمر الليل.. ومثل شمس النهار.. لكنكم تتعامون عن نورها وتتجاهلون نارها مع أنها تحرقكم .

-ذقت النار يا عنبر.. فافتقدت النور .. امنحني بعض نورك

-لست الشمس ولست القمر.. ما أنا إلا مرآة تعكس شيئاً من النور الساطع هناك

قالها عنبر وهو يشير نحو قمة الجبل

-خذني معك إلى هناك

-لا يصعد إلى هناك غير الرجال.. فهل أنت رجل ؟

-أحسبني كذلك يا عنبر.

-إذا .. أرني منديلك.

قالها عنبر صارخا.. بصورة أفزعت قلب يحيى.. وقلب الليل و قلب الجبل الذي ردد صداها.

(6)

- عليك بالصوم إن أصبح الخوف والذل هما خبز القوم وملحهم.

- أسفل الجبل .. الرجال والنساء سواء.. فجميعهم مماليك للمماليك

- الثورة ليست سبب فقركم وهوانكم وأمراضكم.. إنما هي علاج لكل ذلك.. فثوروا تصحوا يا نعاج

- عجبت لقوم ولوا مفسديهم وأطاعوا فاسقيهم ثم ناموا واستكانوا على أعتاب المذلة وتركوا الفئران تعبث بمقدراتهم.. وتـأكـل لحم صغارهم ثـم استيقظوا على أسئلة فاجرة.. أين عدل الله؟ .. أين إنصافه.؟.. أين رحمته؟.. وغاب عنهم أن الله لا يستجيب لدعاء مظلوم رضي بالدنية من دينه وقنع بالمذلة والجبن والتخاذل.

- لا تقبل اليد التي تعجز عن قضمها.. وابصق عليها حتى تأتيك الفرصة لان تكسرها.

لروح الرجل بكارة مثل جسد الأنثى.. لكنها أرق وأطهر وأعف.. فبكارة روح الرجل يهتكها الخوف.. يهتكها الفقر.. يهتكها الجبن و الضعف والنفاق والسكوت على الظلم.. فاستعيدوا بكارة أرواحكم يا أمة من الأرانب .

عالم آخر اكتشفه يحيى فوق الجبل.. مئات الحرافيش والمنبوذين والزعار يشكلون هناك كيانا مارقا متمرداً على فساد وظلم المماليك.. كثيرون منهم غير عنبر يجمعهم به النسب نفسه. مروان ومغبوب وقصي حكيم الجبل وأكبر من فيه سنا.

على كلمات الحكيم قصي تفتحت عينا يحيى على الحقيقة المرة.. أن ما تعانيه الهاشمية لا يعود إلى طغيان المماليك وفسادهم.. إنما يعود إلى تقاعس أهل الهاشمية وتفريطهم.. فقد انعم الله عليهم بالأرض وخيراتها والدين وتعاليمه وبفطرة الإنسان السليمة والنسب الشريف.. فماذا فعلوا في مقابل كل ذلك ؟!!.. هانوا وتهاونوا.. جبنوا وفسدوا فانسحقوا تحت أحذية دود الأرض ولقطاء الأمم المسمون بالمماليك.